

على اعتاب مدينة.. حيث الذاكرة!

الكاتب :

التاريخ : 27 يناير 2012 م

المشاهدات : 4258



تعاود الأيام فتح ملفات الذاكرة لا بقراءة الذكريات؛ بل بخط الواقع..

تزورني كل يوم قطرة دمٍ حديثة الولادة مع أمٍ لها وأب سقطاً في غابر الأيام وداميه!

يخونني صيدي فأرمي دونما جدوٍ.. ولا أحرف تسعف بناءً لقصص المقتولين أحياً في الذاكرة، كلما همَ القلم أو قفه

خفقان هدير الدماء، وموت أنفاس العالقين بين ابتلاع الأرض لقلوبهم وحصد بواريد "السرايا" لأرواحهم!

تربينا تباعاً في حماة على ألم الجرح ذاته.. وأنين الظلم الفاجر ذاته.. وحشر أهات التوجع في عنق الحلق ذاته.
ومحاولات كسر الكرامة مراراً.. مراراً.. لكن.. بفشلهم في نيل هدفهم ذاته.

ولدتُ في حماة وكنت كما كل أطفال الدنا، أهذى بالصراخ والإعلان بالصوت العالي عن كل ما أفك فيه وما يدور في قلبي
وعقلني صراحة وعلى الملاً بلا تورية ولا أدنى إحساسٍ بخطورة تلفظي لكلمات باتت من المحرمات!
وكل النظرات والهمسات والهمسات تقول لي: اسكنتي!
وكنت ما أن أهمس بحرف حتى تنهال على فمي عشرات الأيدي متكاتفةً تكممُه، تحبس الكلمات وتغير بكلامها المعاني!

لم أكن أعي معنى أن أقول: حافظ أسد خطف جدو وخالو، وقتل خالو وخالتو وحتى خالو المريض قصفوا بالمدفعية
ومموتو!!

لم أكن أعي أن همسة بحرف من حروف الجمل أعلى لربما يكون ثمنها أغلى من حياة!!!
لم أكن أعي تصويراً لقصص الذاهبين إلى الخلود بعثاً ببنادق البعث!

لم أكن أعي واقعية لقصص الشهادة فأحسبها على صغرى كقصص ساندريللا في نبل الأمير!
لم تكن تصويرات "قتل" الشهداء المتعانقة في زحام الموت لتأخذ حيزاً من واقعية لهوي في الحياة!

ولم يكن لطفولة خيالي قدرة إحالة روايات مصاصي الدماء واقعاً أثبتته مجازر حماة!
لم يعيق ذهني الصغير يومها بالآلام أمهات في حماة ترعنَّ بين ثكالي وأرامل ينتظرن خدشةً من طفلٍ لاهٍ في ذاكرتهم فُينزفها

جراحاً وأشواقاً!

لم يعلق برأسِي يومها إلا أنْ أمي أرادت تسميتِي باسم خالي الشهيدة "ندي" فرفضت جدي منعاً لاستذكار الجرح مع كل لفظ
لامسي.

لم يعلق بذهني من القصة وألمها سوى الاسم فرحتُ أصرّ به لجدي مع كل نفسٍ وكل قُبلة حبٍ منها لخدني الصغير،
فترشحُ بالدموع أموتها ويغصُ القلبُ بأناتٍ لا آهات لها.. حيث توأطأت جراح الثكالي مع سكوت المستضعفين بظلم قاهر
في غياب الإذعان للمفدى للأبد، فسامت بها أهلي أنواع البلاء..
كبرتُ..

فطاردتني أشباح اللعنات من أحياط تحت التراب، أوجعتهم نصال أسياف الجن في أطراف الغافلين بصحيانهم عن صوت
رصاص المارقين..

في كل حي مشيت فيه في حماة جرح يصف معاناة لجرم أبلج لا يوارى بالتجمل..
في كل قصة آلاف من دموع حيارى لا تعرف إن نزلت كم من أرواح ستأخذ معها إلى مكان حيث اللارجوع!
أقف على العاصي ويداي تسند الخ بعد أن أثقل اللوم المقل، أريد أن أسوغ للميتين ألفاً من عذرٍ وأعذار!
وما أن أهُم يفتح القلب حتى تسكتني رصاصات تحصد من الأحياء أحياً!

ترعبني قوة الرصاص وينهلي شموخ المدينة!
رصاص رصاص رصاص.. ومطر.

مطر وأحياء..

أحياءً ومدينة..

مدينةً وذاكرة..

ذاكرةً وشموخ..

شموخً ومجزرة..

مجازرٌ.. وبقاء.

المصادر: